مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn :2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 10/ العـدد: 01 (2022)، ص 598- 619

الهوية والمكان في الخطاب الروائي

Identity and place in the narrative discourse

د. نعيمة بوسكين[1]،

[1] جامعة باجي مختار عنابة، الجزائر. naimaboussekine@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/12/02 تاريخ القبول: 2021/12/17 تاريخ النشر:2022/01/23

ملخص:

يعد المكان مجالا من أوسع مجالات الإبداع التي تضفي على الخطاب الروائي الراهن رافدا من روافد الثراء والجمال وتحدد هويته التاريخية والحضارية والثقافية نظرا لما يحيل عليه هذا المكان من تجارب وخبرات وذاكرة، توسع آفاق الرواية الفنية وتنوع مجالات العمل الروائي وتخصبه.

كما أن للمكان حضور فاعل في حياة كل منا فهو الذي يثير فينا من دون سواه إحساسا بالمواطنة والانتماء، فالإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى موطن ليضرب فيه بجذوره ويشعر فيه بالحرية والسيادة والتميز، وبذلك تتأصل هويته ومن هنا تتضح أهمية المكان في الرواية ودوره في التعبير عن الهوية النفسية والاجتماعية والتاريخية والحضارية للشخصيات

الكلمات المفتاحية: المكان – الهوية – مقومات الهوية.

Abstract:

The place is one of the broadest areas of creativity that confer on the current narrative discourse as a tributary of the richness and beauty. It determines its historical and cultural identity due to the transfer of this place of experiences and memory expand the horizons of artistic novel and the diversity of fields of work novelist and its enrichment .

The place also has an active presence in the lives of each of us. It is only in us that we have a sense of citizenship and belonging. Not only does a human being need a geographical space to live in, but he is looking for a home where he can strike, feel free, sovereign and privileged, as well as his identity .

The place has an important role in expressing the characters phycological, sociological, historical identity.

Keywords : location, identity, identity.

المؤلف المرسل: الاسم الكامل،

1. مقدمة:

يعد المكان المادة الخام التي يستلهم منها الأدباء والشعراء مادتهم الأدبية، كما يعد نقطة ارتكاز أساسية في الأعمال السردية الروائية، إذ يعتبر المكان من الأعمدة الأساسية التي يقوم عليها الهيكل البنائي للنص الروائي، فالمكان في العمل الروائي هو المسرح القاعدي لجريان الأحداث، وإقامة وتحرك الشخصيات، إذ لا يمكن أن نتصور وقوع أحداث خارج إطارها المكاني.

وتبعا لذلك يغدو المكان القاعدة المادية الأولى التي يبني عليها النص معماره الفني، ويقيم علاقاته اللغوية التي ينهض عليها الفضاء الخيالي الحميم، ليحمل عليها الهوية والكينونة والوجود.

1) مفهوم المكان:

أ-لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "مكان في الأصل تقدير الفعل مفعل لأنه موضوع لكينونة شيء فيه...

المكان: الموضع والجمع: أمكنه وأماكن جمع الجمع، والعرب تقول: كن مكانك، واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه، وإنما جمع أمكنة، فعاملوا الميم الزائدة معاملة أصلية"**1**.

ويذهب جبران مسعود في معجمه الرائد إلى أن: "مكان (ك و ن) ج أمكنة وأمكن، جج أماكن.

1- موضع 2- منزلة 3- "اسم مكان" في الصرف: صيغة تدل على مكان وقوع الفعل نحو: "ملعب" نحو: "ملعب" 4- "ظرف المكان" في النحو: مواسم مكان فيه معنى "في" نحو: "كنت عنده".

2- مكانة: (م ك ن، ك و ن) ج مكانات، 1- مصدر مكن، 2- منزلة – مرتبة: "المكانة المرموقة"**2**.

ويرى "أحمد رضا" أن: "المكان الموضع الحاوي للشيء جمع أمكنة، ومكن، وجمع الجمع أماكن"**3**.

وعليه يحمل المكان بهذه المفاهيم دلالة مادية تشمل الموضع والمقر، كما يحيل على دلالة مجردة تشير إلى الأهمية، والقيمة المضمونة: من مكانة اجتماعية، وعلمية وثقافية ...إلخ.

وجاء في المعجم الفلسفي لجميل صليب: "المكان الموضع، وجمعه أمكنة، وهو المحل **(lieu)** المحدد، الذي يشغله الجسم، ونقول: مكان فسيح ومكان ضيق، وهو مرادف للامتداد **(étendue)** وعند المتكلمين الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم، وينفذ فيه أبعاده، ويرادفه الحيز"**4**

إذا تأملنا هذا التعريف نلاحظ أن مفهوم المكان في الجزء الأول منه لا يختلف كثيرا عن نظيره اللغوي، ذا الدلالة المادية على الموضع والموقع "**le lieu**"، بينما نجد المتكلمين لا يفرقون بين المكان والفضاء، فهو في نظرهم الإطار العام الذي تتحرك فيه الذات، أي الفضاء.

ب- اصطلاحا:

تضاربت آراء الأدباء والنقاد في تحديد مفهوم المكان، وراح كل من هؤلاء يعرفه حسب تصوراته وتخيلاته الخاصة، ويفسره حسب وجهة نظره، مما أدى

إلى عدم وضع مفهوم محدد ودقيق لمصطلح المكان، والسبب الوجيه لهذه الضبابية حول مفهوم والمصطلح هو "التضارب في اصطناع المصطلحات النقدية والألسنية بين المشرق والمغرب"**5**

فالغرب لم يتفقوا على مسمى واحد للدلالة على معنى المكان، وإنما استعملوا لذلك العديد من المصطلحات، إذ نجد في المعالم الفرنسية مصطلح "**place**" للدلالة على المكان، مطابقا لمصطلحي "**espace**"، و"**lieu**"، أما في الإنجليزية فنجد استعمال كل من لفظة "**place**"، **space**، **location**، للدلالة على معنى المكان، وتتمثل المرادفات العربية لهذه المصطلحات في:

1- "**place**" = المكان.

2- "**espace**" **speace** = الفضاء أو الفراغ.

3- "**lieu**" **location** = الموقع.**6**

وهذا ما نلاحظه عند الباحث والأديب "غالب هلسا" الذي قام بترجمة كتاب "شعرية الفضاء" لـ "غاستون باشلار" بـ "جماليات المكان".

كما نجد أيضا من أهم الباحثين والنقاد العرب الذين أولوا اهتماما واضحا لإشكالية مصطلح الفضاء والمكان في بحوثهم النقدية والأدبية "سيزا أحمد قاسم"، التي ترى أن الفضاء له مقوماته وأبعاده المتميزة، إذ أنه انتشار دون أي "حاجز يعين له الحدود"**7** ليصبح لصيق بكل شيء، وهو بذلك أوسع من المكان.

كما يذهب محمد بنيس إلى القول بانفصال المكان عن الفضاء وهو قول حميد لحمداني الذي يرى أن "الأمكنة الواردة في رواية ما، هي ما يشكل الفضاء، فالمقهى أو المنازل أو الشارع، أو الساحة كل واحد منها يعتبر مكانا محددا"**8**، فالفضاء إذن شامل والمكان محدد لكن هذا التقرير لا ينفي أهمية المكان للفضاء، ولا يمكن بل يستحيل وضع حد فاصل بينهما، ذلك أن المكان عنصر مهم يضاف إلى العناصر التي تكون الفضاء.

ولما كان الفضاء أكبر من المكان مساحة، "وأشسع بعدا، فهو امتداد، وهو ارتفاع، وهو انخفاض، وهو طيران، وهو تحليق، وهو نجوم من الأرض، وهو غوص في البحار، وهو انطلاق نحو المجهول، وهو عوالم بلا حدود"**9**

ومن هنا نستنتج أن كل من الغرب والعرب لم يفرقوا بين مصطلحات "المكان، والفضاء، والموقع" ومن حيث المعنى والمفهوم، فهي كلها تدل على معنى المكان، لكن الفضاء **(space)** هو الكلي، وإذا كان المكان **(place)** هو الجزئي وإن الموقع **(location)** هو الأكثر جزئية والأكثر تحديد كما في الشكل التالي **10**:

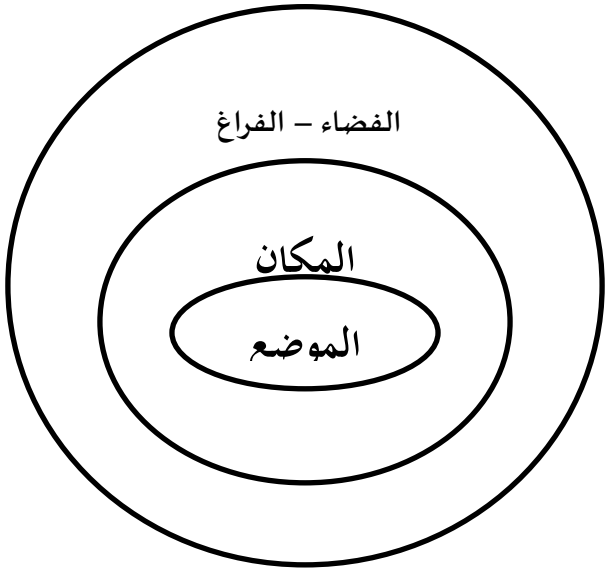

وعليه نلخص إلى المكان هو التجلي المادي الذي تقع فيه الأحداث، وهو بذلك أحد مكونات الفضاء، الذي يشمل إلى جانب المكان عناصر أخرى: كبنية النص، وإيقاعه، وشكل كتابته وعلامات الترقيم...

2- المكان الرّوائي:

يدل المكان الروائي عند البنيويين على مفهوم محدد هو المكان اللفظي المتخيل، وهو مكان تصفه اللغة بناء على أغراض التخيل وحاجاته في الرواية، هذا المفهوم الذي حدده البنيويين للمكان في الرواية هو الأبرز في أدبية المكان،

لأنهم عملوا على ربط المكان الروائي بإمكانات اللغة في التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية، وهذه الإمكانات موظفة لأغراض الرواية.

ومن هنا يتضح أن المكان في الرواية أيّا كان شكله ليس هو المكان الواقعي الخارجي، ولو أشارت إليه الرواية، أو نمته، أو سمته بالاسم، إذ يظل المكان في الرواية عنصرا من عناصرها الفنية، فهو انزياح الكاتب عن الواقع في تشكيل متخيله السردي، إن "زمن الرواية يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة"**11**

وقد ميز البنيويون بين المكان الطبيعي والمكان الروائي تجنبا للبس أثناء التحليل، فقد ذهبوا في آرائهم إلى أن المكان في الرواية كالمكان الطبيعي، موضع ثابت محسوس قابل للإدراك حاو للشيء المستقر، كما أنه متنوع مثل المكان الطبيعي ولكن ذلك لا يعني أنهما متطابقان، بل يعني أن هناك تشابها شكليا مرده أن القاص اصطنع أمكنة تشكل الفراغ في العالم الحقيقي الخارجي، كالمقاهي والشوارع والجبال وغيرها"**12**

وعليه نخلص إلى أن المكان الروائي "هو مكان يحدد جماليا ويأسر في قبضته مجموعة من الكلمات، لأنه مكان مصاغ من ألفاظ لا من موجودات"**13** فالمكان الذي تقوم الرواية على تصويره له تفرده الخاص، وله طبيعته الخاصة وواقعيته.

إضافة إلى ذلك فإن "تشخيص المكان في الرواية هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع بمعنى يوهمنا بواقعيتها"**14**، فالكاتب يقوم باستخدام أمكنة واقعية أو مطابقة للواقع واستغلالها في مقاربة عالمه المتخيل للواقع.

وعليه كان للمكان في الرواية الواقعية أهمية بالغة وقيمة عظيمة، إذ بالغ كتابها في إيراد الوقفات الوصفية للمكان مستغرقين في تصوير جماليته كي يؤكدوا على واقعية المرّوي.

إلا أن "تغير طبيعة الإحساس بالمكان جعل أدباء القرن العشرين يغيرون أسلوب تعاملهم مع الواقع، فلم يعد إحساسهم بالمكان يبعث في أنفسهم الشعور بالاطمئنان، لذلك تغيرت نظرتهم إليه**15**" من باعث على الأمان والحماية إلى ميدان للصراع وعدم الاستقرار، مما أدى إلى تحول توظيف المكان في الرواية الجديدة إلى البحث عن الهوية متخذا شكلين جديدين:

أ- "أحدهما: يعتمد من صورة المكان، ويقتصر على إشارات عابرة تدعوا إليها الضرورة لإقامة الحكي"**16**، وهذا ما نجده مع كتاب تيار الوعي، فالمكان لا يظهر في كتاباتهم بشكل وصف مستقل لذلك لم يكن للوصف المكاني أهمية بالغة.

ب- أما الشكل الثاني: فإن "يبالغ في وصف التفاصيل بصورة يبدو معها العالم المادي ينوء بأشيائه، وأمكنته عن الأبطال وعن القراء أنفسهم، فيتجمد الأبطال عادة، ويصمتون وتصبح حركتهم داخل المكان لا معنى لها"**17**

وعليه لم تعد أهمية المكان في الرواية الجديدة تقتصر على كونه إطار تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات بل أصبح يمثل عصب أي عمل روائي، أو قل بؤرته المضيئة، التي تشع بجماليتها على بقية أجزاء العمل، وفي ذات الوقت فإن أجزاء العمل تنتهي بشكل أو بآخر إلى ذلك العصب المضيء تمنح منه جمالياته، في جدل متبادل يكسب النص مذاقه الخاص.

فلقد أدركت الدراسات الحديثة أهمية المكان كعنصر فعال في البناء الفني للإبداع السردي، وأنه مقوم "يبث ديناميته الفاعلة في صنع الأحداث والشخصيات، وصبغ الزمن ونشر جملة من الأفضية والمناخات الإشعاعية الإضافية"**18**مما أوجد اهتماما أخرج المكان من حيز الدراسات النقدية التقليدية،

بعد أن عدّ لأعوام طويلة مجرد وعاء حاو، وإطار لسلسة من الأحداث والشخصيات التي يدور حولها عالم القص سواء من قبل الكاتب، أو من قبل الدارس.

لقد جعلت الرواية الجديدة "من المكان عنصرا حكائيا بالمعنى الدقيق للكلمة، فقد أصبح الفضاء الروائي مكونا أساسيا في الآلة الحكائية"**19**، يجب أن يكون عاملا وفعالا "وإلا أصبح كتلة شحمية لا تضيف للرواية إلا الترهل، ومن هنا كان المكان يلعب في بعض الروايات دور البطولة، وليس عنصرا بطالة"**20** لذلك عليه أن يساهم بدور إيجابي بناء، لا حيادي سلبي.

4- أنواع المكان:

من المعروف أن الأماكن تختلف حجما وشكلا ومساحة، فقد نجد فيها الضيق المغلق، والمتسع المفتوح، والمرتفع والمنخفض، المنقطع والمتصل، والثابت والمتنقل، ولو تأملنا في الرواية نجدها لا تكتفي بمكان واحد، بل تعداه إلى مجموعة من الأمكنة المختلفة، إذ "لا وجود لرواية تجري جميع حوادثها في مكان واحد منفرد، وإذ ما بدا أن الرواية تجري في مكان واحد خلقنا أوهاما تنقلنا إلى أماكن أخرى"21 فما هي مختلف هذه الأماكن يا ترى؟

إذا نظرنا إلى المكان من حيث الثبات والانتقال نجد نوعين من الأمكنة هما22:

1) أمكنة الإقامة: وهي الأمكنة الثابتة مثل: البيت، السجن ... ونستطيع التمييز بين نوعين من أماكن الإقامة:

أ- أماكن الإقامة الاختيارية: فضاء البيت، البيت الشعبي، البيت الراقي.

ب- أماكن الإقامة الجبرية: فضاء السجن، فضاء المستشفى...

وفي هذه الأخيرة نجد الشخوص ملزمين بالدخول إليها والإقامة فيها، بينما شخوص أماكن الإقامة الاختيارية مخيرين في الدخول إليها والخروج منها.

2) أمكنة الانتقال: وهي التي تكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلاتها، وتعد الأحياء والشوارع والفنادق والمقاهي أهم الأماكن التي يتم فيها الانتقال، ويمكن أن تقسم هذه الأماكن إلى قسمين:

أ- أماكن انتقال مفتوحة: الأحياء، الشوارع والساحات.

ب- أماكن انتقال مغلقة: مثل: المقاهي والفنادق.

ويقسم "مول رميو" المكان بحسب السلطة إلى أربعة أنواع، وهي كالتالي23:

1) عندي: وهو المكان الذي يستطيع الفرد من خلاله ممارسة سلطته، حيث تربط بينهما علاقة حميمة وأليفة، وهذا النوع يتمثل دائما في البيت إذا كان الفرد يعيش وحيدا، ليضيق ويصبح غرفة إذا تعدد الأفراد في المنزل.

2) مكان عند الآخرين: وهو المكان الذي يخضع الفرد فيه لوطأة سلطة الغير، ومن ثمة بات من الضروري الاعتراف بهذه السلطة.

3) المكان اللامتناهي: وهذا المكان يكون من وحي الخيال، بمعنى أن هذا النوع من المكان خيالي، من صنع الخيال.

4) الأماكن العامة: وهي الأماكن التي "ليست ملكا لأحد معين، ولكنها ملك للسلطة العامة (الدولة) النابعة من الجماعة..."24

ضافة الى هذه الأنواع من الامنة يمكننا استنتاج العديد من الأمكنة الأخرى وهي كما يلي25:

1-مكان المنتج: وهو ارقى أمواع الأمكنة، حيث يأخذ موارده الأولية من الطبيعة والانسان، وينتجها على شكل جماليات وهذه الأخيرة من افضل جماليات الأمكنة، لأنها عبر كيمياء المكان المدهش.

2- المكان الصوتي: هذا النوع من المكان تبرز جمالياته من حلال الصوت فقط، دون باقي مظاهر الجمالية الأخرى.

3- المكان الرمزي: وهو المكان الذي يرمز به الروائي لمكان اخر، مثلا مدينة ما.

4- المكان الحنيني: وهو المكان الذي يذكرك بالماضي أكثر مما يذكر بنفسه.

5- المكان المطلق: وهو المكان الذي يحتوي المكان نفسه، كما يحوي مكانا اخر غالبا ما يكون لوحة، أو قناعا، او مجموعه من التماثيل وكذلك حضورا واضحا للمرأة، اذ ان المكان لا يكتمل جماليته الا بالمرأة، ذلك الجسد الهندسي الكامل التصميم والبناء، والذي يزخر بالجماليات التي من شانها ان تغطي اي نقص جمالي في اي مكان.

6-المكان المحطة: هو المكان الذي يستعمله الروائي كنقطة انطلاق فقط، نحو مكان اخر، غالبا ما يكون قابعا في قبو الذاكرة

7-المكان التخطيطي: هو المكان الذي يقوم الروائي بوصفه وتحديد شكله تحديدا دقيقا وابراز حوافه بشكل واضح مثل:

وصف مدينه، بيت، جبل.

8-المكان المتجمر: هو المكان الذي يبقى متوهجا دائما بالذاكرة، توهج الجمرة تحت طبقه الرماد الخفيفة التي تغلق المكان، بفعل الزمن

5- المكان المطلق: وهو المكان الذي يحتوي المكان نفسه، كما يحوي مكانا اخر غالبا ما يكون لوحة، أو قناعا، او مجموعه من التماثيل وكذلك حضورا واضحا للمرأة، اذ ان المكان لا يكتمل جماليته الا بالمرأة، ذلك الجسد الهندسي الكامل التصميم والبناء، والذي يزخر بالجماليات التي من شانها ان تغطي اي نقص جمالي في اي مكان.

6-المكان المحطة: هو المكان الذي يستعمله الروائي كنقطة انطلاق فقط، نحو مكان اخر، غالبا ما يكون قابعا في قبو الذاكرة.

7-المكان التخطيطي: هو المكان الذي يقوم الروائي بوصفه وتحديد شكله تحديدا دقيقا وابراز حوافه بشكل واضح مثل: وصف مدينه، بيت، جبل.

8-المكان المتجمر: هو المكان الذي يبقى متوهجا دائما بالذاكرة، توهج الجمرة تحت طبقه الرماد الخفيفة التي تغلق المكان، بفعل الزمن والمسافة التي يقطعها المكان، عبر الزمن و تحويلاته من لحظه الطفولة الى لحظه الاسترجاع.

9-المكان الرحمي: وهو المكان الذي يبعث على الدفء، والطمأنينة، والحماية في ايام الطفولة، ويظل عالقا في الذاكرة طول العمر، وهو المكان الذي يشبه رحم الام

10-المكان النفسي: وهو المكان الذي ينتج من خلاله الحالة النفسية التي يكون فيها الروائي، وشخصيات روايته، اين ليس المكان المصور كما هو قائم فعليا دون تدخل شعوري ونفسي من الروائي وهو مكان مصور من خلال خرجات النفس وتجلياتها

5-تعليقات المكان بالعناصر البنائية للنص الروائي:

يلعب المكان دور محوريا في رسم ملامح الشخصية الروائية من خلال علاقه كل منهما بالأخر (المكان، والشخصية) من جهة، وعلاقتهما بالزمن من جهة ثانيه، يشحن الروائي نصفه بالدلالات والروى المتنوعة بتنوع تلك العلاقات، فالمكان لا ينشا منعزلا عن باقي عناصر السرد، انما يدخل في علاقات متشابكه مع المكونات الحكائية الاخرى للسرد

أ- تعالق المكان بزمن

يعيش الانسان في عالم يتصف ببعدين اساسيين هما: الزمان والمكان، يحيى فيه ما الانسان وينمو الجنس البشري ويتطور، فالعلاقة بين الزمان والمكان هي علاقه وجوديه، يستلزم وجود احدهما وجود الاخر، ف" المكان تجسيد للزمن وتجليه الابرز والاشهر"26

بما ان الزمن يعتمد على تمظهره في الاشياء من انسان ومكان، يتضح لنا تعالقه الكبير بالمكان لما له من حضور وتجل وتأثير من خلال حركته الدؤوبة

وتحويله للأمكنة بمختلف انواعها، والذي يعيش فيها المرء منذ ميلاده الى اماكن تحمل ذكرى زمن مضى، فيسرد تاريخ المكان مرتبطا بذلك الزمن فيقول" كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر و الأوان..." ذلك ليطرح تاريخ المكان مرتبط بالزمن الماضي.

كما نجد ان ملامح المكان تتبدى وتتضح من خلال الزمن، فهو "يعطي المكان ملامحه وأشكاله التي تختلف من عصر لاخر، ومن حضارة الى أخرى"27

فكلما جاء ذكر تاريخ زمني، جاء ذكر مظاهره، تشكلاته الواقعة على المكان وعلى الأشخاص، مما يجعل الزمن والمكان مندمجين ومتبادلين للتأثير بينهما، فنجد استحالة تشكل المكان خارج حدود الزمن، كما يستحيل تمظهر الزمن تجليه دون مكان أو شخوص، كذلك فان "المكان لا تتجلى أبرز صفاته الجمالية الا الزمان والانسان"28

ففي النص الروائي نلتقط الحضور المجسد لكلا العنصرين (الزمان والمكان) في شبه سيمفونية متناغمة، حيث يحضر وصف المكان الذي سيكون وعاء للأحداث مثلا لتأتي بعده الحركة السردية لتؤكد حضور الزمن في المكان، وذلك ليكتمل الوعاء بكامل زخارفه المكانية والزمانية، لتكتمل معالم وهيكلة الفضاء الروائي وعلى رغم من ان المكان والزمن عنصران متلازمان لا يفترقان، فان المكان ثابت على عكس الزمن المتحرك، هو في ثبوته واحتوائه للأشياء الحسية المستقر فيه يدرك بالحواس إدراكا مباشرا. ذلك ان" المكان صورة أولية ترجع الى قوة الحساسية الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمسة"29 على عكس الزمن الذي يدركه الانسان إدراكا غير مباشر من خلال فعله فيه.

ولكن هناك من اعتبر ان الزمن مكانا متريا رياضيا أحادي البعد وذلك أن الزمن يشارك في العديد من خصائصه مثل التواصل، الاتجاه والاتصال، كما انها

هناك إمكانية تعريف المسافة بين نقطتين – من حيث الوقت – بانها المدة بين حدثين.

أن المكان والزمن عنصران حاكمان في العمل كشقي المقص لا وجود لمنفردا، فلو وجد أحدهما دون الاخر لا يكتمل العمل الروائي، بل الاحرى لا يوجد العمل الروائي.

ان هذا التعالق يؤدي الى تراكم الصور، وتراتب الكم المعرفي لدى القارئ، مما يحفز على الفعل القرائي، هنا يصبح للمكان والزمن دور فاعل في تشكيل الوعي الإنساني، الى جانب انه "يشكل الموروث الثقافي للأعراف، والتقاليد، والعادات والسلوك، بل ملكة التخيل لدى الفرد والجماعة"30.

ومجمل القول ان المكان في السرد – رغم سطوته – يحتاج الى الزمان ليضيء دلالاته المتعددة ويوضح ضرورته البنائية وأهميته.

ب- تعالق المكان بالشخصية: لا شك ان المكان ذو ارتباط وثيق بالشخوص التي تتحرك في فضائه الروائي، ناهيك ان الشخوص ذاتها سواء اكانت محورية ام ثانوية تعد بشكل أو بآخر فضاء، ان الشخصية ذات بعد جسماني، فالكاتب حسن بحراوي يعد المكان الروائي "كما لو كان خزانا حقيقيا للأفكار والمشاعر والحدس، حيث تنشأ بين الانسان والمكان علاقة متبادلة، يؤثر كل طرف فيها على الاخر"31.

فالمكان ذو علاقة وطيدة بالشخصية القاطنة فيه، يؤثر فيه، وإذا تأملنا هذه العلاقة نجدها أكثر ما تكون من علاقة نفسية، فهي تثير احساسه بالمواطنة والانتماء الى المكان الذي يعيش فيه، والارتباط بالجذور والالفة والحميمية التي تجعل الانسان والمكان يتعلقان بحبل سري يوصل بينهما، كما يمكن القول" ان الفضاء الروائي، يمكنه ان يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية "32، وذلك ان الكثير من الوعي الذي يتشكل حول

الشخصية بماضيها وحاضرها "ويوشك ان يكون جزءا من وعينا بماضي المكان"33

ومن هنا يتضح لنا ان كلا العنصرين لا غنى لاحدهما عن الاخر، كل منها يشكل بحضوره وعيا اخر" ، والامكنة لها دائما تاريخ سواء كان ذلك بالنسبة للتاريخ العام ام بالنسبة لسيرة الشخص34" ،لذلك تعد الأمكنة من أكثر الأشياء اثارة للذاكرة التي تبدأ من تمرير الذكريات استجابة لتنبيه المكان، الذي يعد الأثر المادي الوحيد الباقي عبر الزمن يحيل على احداث، وأحوال مرت بها الذات فيه، وانتهت الى حضور هذه الذكريات وهذا ما نجده خاصة في روايات تيار الوعي.

لقد عد المكان جزءا رئيسيا مشكلا للشخصية الروائية في اغلب الروايات نجيب محفوظ "الطريق" و "اللص والكلاب" و"الشحاذ"، نجد ان السجن شخصية الرواية، وبعد من ابعادها المعنوية، فهو ليس مجرد إطار مكاني لحدث من الاحداث، فقد كانت جميع الاحداث تجري بين الخروج من السجن والعودة اليه، وهذا ما يجعل من كلا العنصرين أي الشخصية والمكان" فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جهة أخرى ان حقيقة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"35، فمثلا وجود الكتب الدينية والآيات القرآنية على الجدران علامته على تدين الشخصية في حين أن الصور اللاأخلاقية، وزجاجة الخمر ... علامة على انحراف الشخصية وتهورها، فالمكان علامة دالة على طباع الشخصية، مستواها الاجتماعي والثقافي، واتجاهها الفكري والايديولوجي.

فالأماكن تتصل بالناس اتصالا قويا في العمل الروائي، فهر الاطار الذي يتحركون فيه، يصلون في المساجد، ويسمرون في المقاهي، ومن البيوت والأسواق والحانات تتشكل الاحياء، القرى ثم المدن "فالروائي يعمل على ان يكون بناءه منسجما مع مزاج وطبائع شخصياته التي تعيشها الشخصية، بل وقد تساهم في تحولات الداخلية التي تطرأ عليها"36 وعليه فالمكان الروائي لا يمكن أن ينشأ

بمنأى عن الأشخاص فهو يتشكل باختراق الابطال له، فتنشأ علاقة حميمية بينه وبين الأشخاص الذين يعيشون فيه، ويعمل الروائي على ان يكون بناؤه له مناسبا مع طبائع الاشخاص ونفسياتهم ليبرز ذلك التأثير المتبادل بين الشخصية المكان الذي يعيش فيه.

6- المكان والهوية:

لقد اخذ الجدال حول الهوية يتفاقم في الدوائر الثقافية والفكرية ويستحوذ على انشغالات واسئلة الانسان، مما أدى الى تسليط الضوء على ثغرات الغامضة التي لابد من مجادلتها ومحاولة محو هذا الغموض عن طريق مناقشة وإبراز اهم مقاومتها.

أ-مفهوم الهوية: الهوية هي كل ما يميز الشخص عن غيره، فهي ماهيته وما يعرف به من صفات عقلية اسمية، خلقية ونفسية. فالهوية مجموع ما يكوننا كانسان، العرق والوطن والتاريخ والدين والعرق الذي ينتمي اليه، الوطن الذي نحمل جنسيته، والتاريخ الذي نعتز به، والدين الذي نعتنقه.

اذ يقول ابن رشد في معرض شرحه لمفهوم الهوية في كتابة (تفسير ما بعد الطبيعة): "لقد اضطر اليه بعض المترجمين، فاشتق هذا الاسم من حرف الرباط، اعني الحرف الذي يدل عند العرب على ارتباط المحمول بالموضوع في جوهره، وهو حرف "هو" في قولهم زيد هو انسان"37.

وعليه يرى ابن رشد ان مصطلح الهوية لا يمت بصلة الى جوهر اللغة العربية، فهو يحيل على منظومة معرفية غير منظومة اللغة العربية، هذه المنظومة هي المنطق، وبالتحديد المنطق الارسطي، حيث وجدت ترجمات مبكرة له الى العربية في العقود الإسلامية الأولى، "والذي ظل مهيمنا على الادراك العربي لمسألة الهوية عبر قون طويلة على الرغم من ثراء وتنوع التداول العربي لمفاصله

ومفهوماته، في دوائر الفقه واللغة والكلام والفلاسفة والتفسير والتأويل والادب 38"

بعد ذلك جاء تعريف الجرجاني للهوية على انها "عند بعضهم هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب المطلق"39 ولقد تأثر بها هذا التعريف العديد من علماء الكلام.

الا ان ما نلاحظه من اجل هؤلاء العلماء من أمثال: الكندي وابن سينا والغزالي والآمدي وأبو البقاء الكنغوي و(حادي بن حيان) قد تأثروا أكثر بسؤال الماهية في التعريف، وهذا ما جعل مفهوم الهوية مفهوما مرجعيا في الثقافة العربية الإسلامية.

ب- علاقة المكان بمقومات الهوية:

تتباين القيم الاعتبارية والثقافية والدينية والسياسية والاجتماعية والنفسية، من مكان الى اخر، لأنه لا توجد أماكن متشابهة الى حد التطابق الا في حالات استثنائية جدا "فتطابق الأماكن يعني تطابق الشخصيات والثقافات والاتجاهات والدوافع النفسية "40، ونفهم من هذا ان الأماكن تدل على تفاعل ثقافي وديني...الخ، كما انها تعبر بموضوعية عن هوية الفرد أو الجماعة، فلكل مجتمع أسلوبه وطبيعته وخصائصه في القسيم المكاني حيث يصبح للمجتمع اطاره الجغرافي الذي يميزه عم غيره في طرز البناء وانماط التفكير ودرجة الإحساس بالمكان وطريقة تنظيمه ". وبذلك تصدق حقيقة ان المكان يقترن بالهوية"41

ستتضح أكثر هذه العلاقة من خلال الفوضى في مقومات الهوية والكشف عن أبرز مكوناتها وهي:

1- الأرض (الوطن): جاء في معجم الرائد "وطن جمع اواطن مكان إقامة الانسان ومقره، ولد فيه ولم يولد"42 يعتبر المكان ممثلا في الوطن من اهم مقومات

الهوية، فهي عامل أساسي للشعور بها والانتماء الى امة معينة، فهو يجمع الافراد الذين يسكنون الأرض الواحدة فيشعرون بالوحدة التماسك، وكلما ابتعدوا عنها أحسوا بالضياع وبالغربة مما يؤكد ان المكان مقوما أساسيا للهوية.. وهذه الأخيرة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمكان، لان الانسان اذ فقد المكان الذي يعيش فيه او اجبر على الرحيل عن ارضه ووطنه يشعر بنوع من الغربة والاغتراب عن الذات والاستقرار ويبقى دائما يحن الى المكان الذي ولد وعاش فيه. ويحاول الرجوع اليه واستعادته بكل الطرق.

وهذا ما يفسره كفاح الشعب الجزائري من اجل استرجاع ارضه من المستعمر الفرنسي وغيرها من الحركات التحررية، الذي حاول طمس هويتها والنيل من عقيدتها، عن طريق سياسة الاستيطان والسيطرة على ارض الجزائر.

2-العرق: "ج عروق واعراق وعراق أصل كل شيء "43وعليه نجد ان العرق من اهم المقومات الأساسية في تحديد الهوية، حيث يمل الانتماء الى الأصل الواحد، اذ يجسد بحق كتلة متماسكة تعنى بالذات الفردية الذائبة والانا الجماعية، حيث تجعل من الافراد لمحة واحدة تكون لنفسها ابعادا مختلفة ويدافع كل فرد عن مقوماته، التي اكتسبوها المكان الذي ولذوا فيه وعاشوا فيه وهنا تظهر أهمية المكان كمكون أساسي في تحديد هوية وانتماء مجتمع ما مثال ذلك ما وقع للزنوج المضطهدين في العالم في دفاعهم عن بعضهم البعض ورغبتهم في فرض وجودهم.

3-التاريخ: بعد التاريخ أيضا من اهم المقومات التي تأصل لجذور أي امة من الأمم ذلك ان تكون شخصية الفرد مرتبطة بالرجوع الى ماضيه، الذي يعد صفة جوهرية ولبنة أساسية لبناء مستقبله، فلكل مكان بما يمضه من مجتمع بشري تاريخه الخاص به، والذي يمثل رابطا قويا يميز افراد هذا المجتمع من غيره، وعليه يشعر كل فرد بانتمائه العميق الى هذا المجتمع ارتباطه الوثيق بموطنه اذ يعد

المورث الشعبي مثلا احد الأنماط التي يعتد بها أي فرد منتم الى امة ما، يعطيه صفة متفردة تجعله يختلف من مكان لآخر.

4-الدين: "الدين هو عبادة الله وتقديسه"44 وهو أحد المقومات التي تربط بين افراد الامة والشعب واهم الركائز التي تعنى بالجانب الروحي لدى الافراد، حيث يمن شعائر عديدة متعارف عليه يوظفها الافراد في علاقتهم مع خالقهم وكنموذج لهذا: نجد الدين الإسلامي الذي يمثل أسمي النماذج التي يمكن ان نتخذها في توحيد الامة والتحامها، الا ان الديانات تختلف من مكان الى آخر، ومن حضارة الى أخرى.

5- اللغة: تعتبر من اهم مقومات الهوية فهي "أصوات وكلمات يغبر بها كل قوم عن حاجاته"45 وبالتالي عن هويتهم، ذلك ان اللغة وعاء الفكر، فهي ليست مجرد أصوات وإنها روح امة من الأمم وثقافة شعب من الشعوب، بل هوية شعب من الشعوب، اذ يصب فيها عادات وطبائعه ومعتقداته بها يدون تاريخه ويخطط لمستقبله.

نلخص الى ان المكان عنصرا أساسيا مكونا ضروريا للهوية لأنه كما لاحظنا سابقا مرتبط ارتباطا وثيقا بمختلف مقومات الهوية أيضا: العادات والتقليد والتي تعبر هي الأخرى من المورثات التي اكتسبها ما من المكان الذي يعيش فيه.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، ط1، لبنان، 1990، ص414.
2. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 2003، ص845.
3. أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج5، دار المكتبة الحياة، د.ط، لبنان، 1960، ص334.
4. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، د.ط، لبنان، 1979، ص412.
5. عبد الملك مرتاض، "أين ليلاي" قصيدة لمحمد العيد آل خليفة، تحليل سيميائي تفكيكي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، د.ت، ص10
6. ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية (مقاربة بين ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1984، ص75.
7. **Henri le Febvre, la production de l'espace O.P-CITP9-10**، نقلا عن حسين نجمي شعرية الفضاء، المتخيل في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الكويت، 2000، ص29.
8. حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز العربي للطابعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 1993، ص63.
9. شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في روابة "غدا يوم جديد"، مجلة الثقافة ع 115، الجزائر، ص144.
10. طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان (التعبير، التأويل، النقد)، دار الشرق، ط1، الأردن، 2002، ص24.
11. سيزا قاسم، بناء الرواية (مقارنة بين ثلاثية نجيب محفوظ)، ص74.

12. وردة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل، د ط، 2009، ص29.

13. صبري حافظ، الخصائص البنائية للأقصوصة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 4، مصر، 1982، ص 28-29.

14. حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص65.

15. المرجع نفسه، ص68.

16. حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص69.

17. المرجع نفسه، ص69.

18. صلاح صلاح، دراسة المكان الصحراوي (في فساد الأمكنة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م12، ع3، مصر، خريف، 1993، ص313.

19. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص27.

20. شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1994، ص275.

21. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيس، منشورات عويدات، د ط، لبنان، 1971، ص52.

22. ينظر، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص41.

23. ينظر: شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، ص277.

24. شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في رواية، "غدا يوم جديد"، العدد 115، ص158.

25. ابن منظور، لسان العرب، مج 13، دار صادر، ط1، لبنان، 1990، ص414.

26. جبران مسعود، الرائد، دار العلم للملايين، ط1، لبنان، 2003، ص845.

27. أحمد رضا، معجم متن اللغة، مج5، دار المكتبة الحياة، د.ط، لبنان، 1960، ص334.

28. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، د.ط، لبنان، 1979، ص412.

29. عبد الملك مرتاض، "أين ليلاي" قصيدة لمحمد العيد آل خليفة، تحليل سيميائي تفكيكي، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، الجزائر، د.ت، ص10

30. ينظر: سيزا قاسم، بناء الرواية (مقاربة بين ثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1984، ص75.

31. **Henri le Febvre, la production de l'espace O.P-CITP9-10**، نقلا عن حسين نجمي شعرية الفضاء، المتخيل في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، الكويت، 2000، ص29.

32. حميد الحمداني، بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز العربي للطابعة والنشر، ط2، الدار البيضاء، بيروت، 1993، ص63.

33. شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في رواية "غدا يوم جديد"، مجلة الثقافة ع 115، الجزائر، ص144.

34. طاهر عبد مسلم، عبقرية الصورة والمكان (التعبير، التأويل، النقد)، دار الشرق، ط1، الأردن، 2002، ص24.

35. سيزا قاسم، بناء الرواية (مقارنة بين ثلاثية نجيب محفوظ)، ص74.

36. وردة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الأمل، د ط، 2009، ص29.

37. صبري حافظ، الخصائص البنائية للأقصوصة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 4، مصر، 1982، ص 28-29.

38. حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص65.

39. المرجع نفسه، ص68.

40. حميد الحميداني، بنية النص السردي، ص69.

41. المرجع نفسه، ص69.

42. صلاح صلاح، دراسة المكان الصحراوي (في فساد الأمكنة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، م12، ع3، مصر، خريف، 1993، ص313.

43. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص27.

44. شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1994، ص275.

45. ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترجمة فريد أنطونيس، منشورات عويدات، د ط، لبنان، 1971، ص52.

46. ينظر، حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص41.

47. ينظر: شاكر النابلسي، جمالية المكان في الرواية العربية، ص277.

48. شريبط أحمد شريبط، بنية الفضاء في رواية، "غدا يوم جديد"، العدد 115، ص158.